اما مستفاده كخرج زيد وعمرو وأما مستفاده من دلالة معناه ومن ان هذا الضرب
على الكناية والاستعارة والتمثيل كما اذا قلت في المرأة هي نؤوم الضحى فمقصودك انها
مترفهة لها من يخدمها ويكفيها أمرها واذا قلت فلان جبان الكلب مهزول الفصيل
فمرادك أنه مضياف ولكن ليس هذا المدلول هو الذي وضع اللفظ له حقيقة بل قولهم
نؤوم الضحى انما يدل من جهة الحقيقة على النوم في الضحى وجبان الكلب مهزول الفصيل
انما يدل حقيقة أنه لا ينبح ولا يتقدم على أذى أحد وعلى أن الفصيل ضعيف وهذا معنى
اللفظ والمعنى الأول معنى اللفظ. إشارة كم ممن يعد من المخلصين يعتقد
أن المعنى تبع للألفاظ حيث رأى سهام المعاني تخرق قرطاس سمعه بعد
وقع الألفاظ هدف أذنه متمكنا على معرفة تغير المعنى مع بقاء الألفاظ على اماكنها لا مقدر
ما يعرض لها من تقديم وتقدير وتأخير أو زيادة أو حذف أو نحو ذلك ليصح بذلك
المعنى المطلوب ولو عرف ذلك لقضى بأن الألفاظ هي التابعة وأن المعاني هي المتبوعة
من ذلك ما أنشده أبو علي في التذكرة ثم وإن لم أنم كرى كراكا ثم قال
ينبغي أن يكون كرى خبرا مقدما وأن يكون الأصل كراك كرى وإن لم أنم. ونظيره
بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد والتقدير بنو أبنائنا بنونا
وإنما أرشد إلى ذلك المعنى ومن الباب قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ليس
المعنى على ادعوا مسمى هذا الاسم أو مسمى هذا الاسم بل على ادعوا بهذا الاسم أو بهذا الاسم
كقولك هو يدعو زيدا أو يدعو الأمير ومن حمل الكلام على غير حذف كما وقع في
الترك أخرجه إلى إثبات مدعوين ومما يرشد إلى المحذوف أنه لا يستقيم أن يعد
إلى اسمين كلاهما لشيء واحد ويعطف أحدهما على الآخر بأو فتقول ادع إلى
زيد أو الأمير والأمير هو زيد وأيضا فإن قوله أياما تدعوا محال أن تتوجه إلى شيء واحد
لأن من شأن أي أن تكون لواحد مما هو أكثر منه ومن المشكل قراءة من حذف التنوين
من عزير في قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله فمنهم من حمل على حذف التنوين
للساكنين كما قرأ بعضهم قل هو الله أحد الله الصمد وكما قرأ عمارة بن عقيل ولا الليل
سابق النهار بنصب النهار وترك تنوين سابق فقيل له ما تريد قال أردت سابق
قيل له فهلا قلته قال لو قلته لكان أوزن ومنهم من قال حذف التنوين من الابن

صفة وعلى هذا في الكلام محذوف فقيل انه مبتدأ تقديره هو عزير تعالى الله عما يشركون
وقيل انه خبر تقديره معبود وهو قول من التحقيق على معاون. بيانه أنك إذا قلت
حكاية عن انسان أنه قال زيد ابن عمرو سيد ثم كذبته فيه لم يكن منكرا لكونه زيد ابن عمرو
ولكن أن يكون سيدا وكذلك ان قال زيد الفقيه قد قدم فقلت كذبت لم يكن منكرا قوله
زيد الفقيه بل قوله قد قدم فالتصديق والتكذيب أبدا ينصرفان إلى الخبر دون الصفة
ويبينك بصحة ذلك أنك تقول ما جاءني زيد الظريف فينصرف النفي إلى المجيء دون الظرافة
بل يبقى الظريف ثابتا في النفي ثبوته في الإيجاب ولأن من شأن الصفة أن تكون ثابتة عند
المخاطب ثبوتها عند المتكلم وإلا لما حصل بها التمييز. إذا عرفت ذلك
ظهر لك أن جعل الابن صفة في الآية الكريمة مؤد إلى أمر عظيم وهو إخراجه عن موضع
الإنكار إلى الثبوت تعالى الله عن ذلك فإن قلت جعله صفة قول مشهور فهل
يمكن تصحيحه قلت يمكن أن يقال وإن كان على بعد أن المقصود الدلالة على
أن اليهود قد كان بلغ من جهلهم أنهم يذكرون عزيرا عليه السلام هذا الذكر كما تقول
في قوم قد ضلوا في أمر واحد وبلغوا النهاية في تعظيمه يقولون أبدا ان زيد الأمير تريد أنهم
كذلك ذكرهم له هذا الذكر ومما هو من قبيل ما نحن فيه قوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا
لكم فقد ذهبوا إلى أن ثلاثة خبر مبتدأ والتقدير آلهتنا ثلاثة وليس بمستقيم لإيهامه إثبات الآلهة
لأن النفي إنما يرد على المعنى المستفاد من الخبر لا على معنى المبتدأ فإذا قلت ما زيد منطلقا لم تنف
معنى زيد بل معنى منطلق فيلزم في الآية أن تكون قد نفيت كون الآلهة ثلاثة ولم تنف كونها آلهة
كما تقول ليس أمراؤنا ثلاثة أو في الوجود آلهة ثلاثة وحذف الخبر وهو لنا أو في الوجود
مطرد في كل ما معناه التوحيد نحو لا إله إلا الله وأما حذف الموصوف بالعدد فشائع
إذا عرف قولك عندي ثلاثة وأنت تريد الدراهم ويجوز أن يكون المحذوف مميزا ويكون
التقدير ولا تقولوا ثلاثة آلهة أي لنا ثلاثة آلهة فنفى الوجود عن الآلهة كما نفيه على التربيع
في قولنا لا إله إلا الله وعلى تقديرهم يلزم أن يكونوا قد نفوا عدة الآلهة لا وجودهم فإن قلت
نفي الوجود عن آلهة ثلاثة يجوز معه وجود إلهين إذ لا ينفي ذلك كما تقول ليس لنا أمراء ثلاثة
لكن لنا أميران قلت لكن قولك آلهتنا يوجب ثبوت آلهة وقولنا ليس لنا آلهة ثلاثة لا يوجبه
فإن قلت كما لا يوجبه لا ينفيه قلت هو ان لم ينفه فقد نفاه ما بعده من قوله إنما الله

التوحيد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)